جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلّة الرَّاسخون

مجلّة عالميّة محكّمة

ISSN: 2462-2508
Special Issue, April 2022
إصدار خاص - أبريل 2022

مجلة الراسخـــون

مجلة عالمية محكمة

ISSN:2462-2508

إصدار خاص أبريل 2022

الدراسات الإسلامية

البحث	صفحة
اختيارات الشيخ الأمين في توجيه القراءات جمعًا ودراسةً	20_1
خصائص تعظيم البلد الحرام ـ زادها الله تشريفًا وتعظيمًا ـ منذ خلق الله تعالى السماوات والأرض في ضوء القرآن الكريم وآثارها	38_21
أثر الإكراه والغضب في الطلاق	56_39
ثمرات تحقيق العبودية	87_57
التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم	121_88
تطبيق ناجز التابع لوزارة العدل السعودية وآثاره الاستشرافية	148_122

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

نائب رئيس المجلة: الأستاذ المشارك الدكتور/ الطيب مبروكي

مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الله يوسف

نائب مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد

سكرتيرة المجلة: الأستاذة/ دينا فتحي حسين متولي

محكمو أبحاث العدد (حسب الترتيب الأبجدي):

- الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم محمد أحمد البيومي
- الأستاذ الدكتور/ خالد حمدي عبد الكريم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ خالد نبوي سليمان حجاج
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سامي سمير عبد القوي
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سمير سعيد حسين الحصرى
- الأستاذ المشارك الدكتور/ السيد سيد أحمد محمد نجم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ صلاح عبد التواب سعداوي سيد
- الأستاذ المشارك الدكتور/ المتولي علي الشحات بستان
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد أحمد عبد المطلب عزب
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد السيد إبراهيم البساطي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ وليد علي محمد السيد الطنطاوي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ ياسر عبد الحميد جاد الله

Arrasikhun International Journal، Special Issue، April 2022

ISSN: 2462-2508

خصائص تعظيم البلد الحرام - زادها الله تشريفًا وتعظيمًا-
منذ خلق الله تعالى السماوات والأرض في ضوء القرآن الكريم وآثارها

د. نوال بنت محمد بن زاهد علي سردار

أستاذ التفسير المساعد بجامعة أم القرى

nmsirdar@uqu.edu.sa

ملخص البحث

وردت في القرآن آياتٌ عديدةٌ تدل على خصائص مكة المكرمة، وحرمتها، الثابتة لها منذ خلق الله السماوات والأرض، فكان عنوان الدراسة: ***خصائص تعظيم البلد الحرام- زادها الله تشريفًا وتعظيمًا- منذ خلق الله تعالى السماوات والأرض في ضوء القرآن الكريم وآثارها.*** إذ يعتقد فئة من الناس أن خصائص البلد الحرام إنما ثبتت له منذ العهد الإبراهيمي وبدعوته عليه السلام له، مع غفلة الناشئة عن ذلك، فهذه الدراسة تزيل هذا اللبس وتجلي خصائصه وآثاره من خلال بيان مفهوم خصائص تعظيم البلد الحرام، وتأصيله منذ خلق الله تعالى السماوات والأرض، واستنباط الآثار المترتبة عليه. متبعة منهج الحصر للآيات، مع التتبع والاستقراء، والوصف للأحداث، والتحليل للآيات، والاستنباط. فنتج عنها: ثبوت خصائص تعظيم البلد الحرام منذ خلق السماوات والأرض، ومنها: بناء البيت الحرام بأرضه ابتداءً لعبادته، ومحبته وتعظيمه، وكونه مباركا وقيامًا للناس ومثابةً، فيتحقق لهم به منافعهم الدينية والدنيوية. وثبوت حرمته، فقد جعله الله حرمًا آمنًا، وثبوت طهارة البيت الحرام أصالة من مظاهر الشرك والابتداع، وكونه منبع الهدى ومنار العلم، وتعزيز قيمة التعظيم في النفوس، بتجلية آثار الاختصاص.

الكلمات الدلالية: تعظيم/ تعزيز/ حرمة مكة/ اختصاص.

Abstract

There are many verses in the Qur'an indicating characteristics of Makkah and its immutable sanctity since the creation of the heavens and the earth. This study is entitled: ***"Characteristics of glorifying the Sacred Land- Gave it honor and glorification- since God Almighty created of the heavens and the earth in light of the Holy Qur'an and its effects"*** as a group of people believes that characteristics of the Sacred Land have been proven to it since the Abrahamic era and by his call to it and due to young people's inattention of that. This study removes this confusion and clarifies its characteristics and effects by clarifying the concept of characteristics of glorifying the Sacred Land، rooting it since Allah created the heavens and the earth، and extrapolating its implications. The study limits the verses، with tracking and induction، description of events، analysis of verses، and extrapolation. Results: Proving characteristics of glorifying the Sacred Land since the creation of the heavens and the earth، including: building the Ka'bah on its land، for worship، love and glorification، and its being a sanctuary of well-being for people، so that their religious and worldly benefits are achieved; Proving its sanctity، for Allah has made it a safe sanctuary; proving the purity of the Sacred House authentically from manifestations of polytheism and heresy، and it is a source of guidance and knowledge; and enhancing value of glorification in souls، by manifesting the effects of specialization.

Keywords: glorification / strengthening / Makkah's sanctity / specialization.

ISSN: 2462-2508

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر والعرفان لمجلة الراسخون الموقرة، وفائق التقدير لجامعة أم القرى، وعمادة البحث العلمي بالجامعة، لجهودهم في التحفيز للنشر العلمي في المجلات المصنفة عالميًا.

المقدمة

الحمد لله، واهب المنن، ولي النعم، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومَن اهتدى بهداه، وبعد:

فقد اختص الله تعالى البلد الحرام بأن جعله مهبط الوحي، وموئل العلم، ومنبع الرسالة، ومنار الهدى، تهوي إليه الأفئدة مِن مشارق الأرض ومغاربها، ويُولّي المسلمون وجوههم شطر مسجده، وإليه تُشد الرحال مِن كل فجٍّ عميقٍ، وقد وردت في القرآن آياتٌ عديدةٌ تدل على خصائصه وفضله، ومكانته وحرمته، الثابتة لها منذ خلق الله تعالى السماوات والأرض.

ولما رأيت بعضًا من الباحثين ترتكز دراستهم على إبراز مكة وتاريخها بدءً من العهد الإبراهيمي، غفلةً عن خصائصها ومكانتها التي ثبتت لها منذ خلق السماوات والأرض، جاء عنوان الدراسة: **خصائص تعظيم البلد الحرام منذ خلق السماوات والأرض في ضوء القرآن وآثارها،** لإبراز ما غفلت عنه الدراسات والبحوث السابقة، وتعزيز قيمة التعظيم في نفوس الناشئة بتجلية آثاره، لتمثل إضافة علمية تأصيلية في بابها.

أهمية الموضوع:

1- إن شرف العلم بشرف موضوعه بدراسة خصائص التعظيم من خلال الآيات القرآنية الدالة على ذلك.

2- إزالة الالتباس الحاصل عند فئة من الناس الذين يظنون أن خصائص تعظيم البلد الحرام ثبتت له منذ عهد إبراهيم عليه السلام.

3- تأصيل ثبوت الخصائص للبلد الحرام وتعظيمه منذ خلق السماوات والأرض، في ضوء القرآن الكريم.

4- تعزيز قيمة التعظيم الواجب للبلد الحرام، فهو ليس بالأمر المستجد، من خلال تجلية آثار الاختصاص.

مشكلة الدراسة: اعتقاد فئة من الناس أن خصائص تعظيم البلد الحرام إنما ثبتت له في العهد الإبراهيمي وبدعوته له، فكثير من الدراسات تركز على تاريخ مكة ابتداءً بعهده، وكأنه لم يكن لها وجود قبل ذلك، إلى جانب غفلة الفئة الناشئة عن واجب التعظيم للبلد الحرام الثابت له منذ القدم.

أسئلة الدراسة: تكمن في الإجابة على التساؤلات التالية:

1- ما معنى خصائص تعظيم البلد الحرام؟

2- ما خصائص تعظيم البلد الحرام منذ خلق السماوات والأرض في ضوء القرآن؟

3- ما الآثار المترتبة عليها لتعزيز قيمة التعظيم في النفوس؟

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

1- بيان معنى خصائص تعظيم البلد الحرام.

2- تأصيل خصائص تعظيم البلد الحرام منذ خلق الله السماوات والأرض في ضوء القرآن.

3- استنباط الآثار المترتبة عليها لتعزيز قيمة التعظيم في النفوس.

الدراسات السابقة:

تناول الباحثون (البلد الحرام) بالدراسة من جوانب عديدة وميادين مختلفة، وسأذكر أقربها تعلقًا بالدراسة:

1- مكة المكرمة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، الباحثة: هديل محمد باسم أبو زينة، رسالة ماجستير، بجامعة الخليل، في أصول الدين بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، 1440هـ-2019م.

التعليق: تناولت الدراسة أسماء مكة وفضائلها وحصر الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، وذكر الأحكام الشرعية المتعلقة بها، وأبرز معالمها المقدسة، لم يرد فيها ذكر خصائص البلد الحرام منذ خلق السماوات والأرض.

2- مكة المكرمة أحداث ووقائع في ضوء آيات الكتاب، الباحث: عبد الرحمن بن جميل قصاص، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، (ت. د).

التعليق: تناولت الدراسة أسماء مكة وأوصافها، ومعالمها وأعلامها، ثم ذكرت مكة في عهد إبراهيم عليه السلام وفي العصر الجاهلي والعهد المكي والعهد المدني، فذكرت ما نزل في كل عهد من آيات مع وصف مجمل لكل عهد، ولم تشر خصائص البلد الحرام منذ خلق السماوات والأرض.

3- جوانب الأمن المُتفضَّل به في مكة في القرآن الكريم -دراسة تحليلية-، الباحث: عبد الله صالح الحضري، مجلة معالم الدعوة الإسلامية المحكمة، العدد العاشر، 1439هـ-2018م.

التعليق: تناولت هذه الدراسة مكة من ناحية خصيصة الأمن فقط، فذكرت معنى الأمن، وجوانب الأمن العقدي والنفسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري في مكة والتي وردت في القرآن الكريم، ولم تتعرض لتوثيق بقية الخصائص الثابتة للبلد الحرام منذ خلق السماوات والأرض بهذا الاعتبار.

الفرق بين هذه الدراسة والدراسات السابقة: أن هذه الدراسة تفردت ببيان خصائص تعظيم البلد الحرام منذ خلق السماوات والأرض، في ضوء ما دلت عليه نصوص القرآن، واستنتاج آثارها المعززة لقيمة التعظيم في النفوس.

حدود الدراسة: ترتكز على دراسة الآيات القرآنية المتعلقة بتعظيم البلد الحرام.

منهج الدراسة: منهج الحصر للآيات، والتتبع والاستقراء، ومنهج الوصف التاريخي للأحداث، ومنهج التحليل والدراسة للآيات، والاستنباط.

إجراءات الدراسة: اتبعت إجراءات البحث العلمي المعتمدة:

1- حصر الآيات القرآنية، وتوثيقها بخط مصحف المدينة المنورة، مع ذكر السورة والآية بين قوسين [ ]، في المتن.

2- توثيق نصوص الحديث النبوي، في الحاشية بعزوها إلى مظانها في كتب السنة مع الاكتفاء بالصحيحين أو أحدهما، أو أحد الكتب التي ورد

فيها من غيرهما، –وذكر درجة صحة الحديث في غير الصحيحين–، بذكر المؤلف واسم الكتاب، والكتاب والباب ورقم الحديث، والجزء والصفحة.

3- شرح الآيات القرآنية من مظانها في كتب التفسير، وعزوها إلى مصادرها في الحاشية.

4- الاستدلال بالآيات والاستنباط لاستخراج وجه الدلالة والأثر قدر الوسع والطاقة.

هيكلة الدراسة: تقتضي طبيعة الدراسة، تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث ثم خاتمة مذيلة بثبت المصادر والمراجع، كالتالي:

المقدمة: وتشتمل على (أهمية الدراسة، ومشكلتها، وتساؤلاتها، وأهدافها، وحدودها، ومنهجها، والهيكلة)، يتلوها ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم خصائص تعظيم البلد الحرام.

المبحث الثاني: خصائص تعظيم البلد الحرام منذ خلق السماوات والأرض في ضوء القرآن.

المبحث الثالث: آثار خصائص تعظيم البلد الحرام.

وتقفوها خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات ثم المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم خصائص تعظيم البلد الحرام.

يتكون مفهوم (تعظيم البلد الحرام) من أربعة أجزاء: الأول: الخصائص الثاني: التعظيم، والثالث: البلد، الرابع: الحرام، وسأعرض كل جزءٍ على حدة بالبيان، وصولًا للمفهوم الشامل المقصود بالدراسة.

أولًا: مفهوم الخصائص:

في اللغة: الخصائص جمع خصيصة، وهي الصفة التميز الشيء وتحدده، واختص الشيء: انفرد به واصطفاه واختاره به[1]، والخاص ضد العام، وخصَّص الشيء جعله خاصًا، وخصّه بالشيء خُصوصًا وخَصوصية: فضله[2]، والفتح أفصح، وخصّصَه واختصَّه أي أفرده به دون غيره[3].

ومما سبق نستنتج أن معنى الخصائص في اللغة يدور حول التميز، والانفراد، والفضل.

ومما سبق يمكن استنباط معنى الخصائص في الاصطلاح: بأنها المزايا التي ينفرد بها شخص أو مكان أو زمان تفضيلًا له على غيره، وتمييزًا.

ثانيًا: مفهوم التعظيم:

التعظيم في اللغة: مأخوذ من (عَظَمَ) مصدر صحيح يعبر عن العظمة والقوة[4]، ومن صفات الله تعالى (العظيم) الذي جمع صفات العظمة والكبرياء، وتعظمه القلوب وتحبه وتجله وتهابه، ويقال: رجل عَظِيم المَعَاظِم، أي: له حرمة يعظّم لها، ومُعْظَم

(1) ينظر: مجمع اللغة العربية (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار). **المعجم الوسيط.** مادة (خصَّ)، ج1، ص238.

(2) ينظر: الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب. (1426هـ)، **القاموس المحيط.** ط8، مادة (خصَّ)، ج1، ص617.

(3) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (1414هـ)، **لسان العرب.** ط3، مادة (خصص)، ج7، ص24.

(4) ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا. (1399هـ)، **معجم مقاييس اللغة.** مادة (عظم)، ج4، ص355.

ISSN: 2462-2508

الشيء، أي: أكثره، وعَظّم الأمر، أي: كَبّرَه، ومنه العَظْمُ المعروف؛ سُمي بذلك لقوته وشدته[1].

من دراسة المعنى اللغوي يتضح لنا: أن هذه المعاني يعاضد بعضها بعضًا من حيث دلالة اللفظ على المعاني، كونها تتمحور على تعظيم الشأن والعلو والرفعة والهيبة مع المحبة ومراعاة الحرمات مع كثرة المحاسن وكبرها وعظمها.

المعنى الاصطلاحي: التعظيم هو التبجيل النابع من القلب، سواء كان حسيًا أو معنويًا، مرتبط بالحب والتقدير مع الهيبة والتوقير[2].وتعظيم حرمات الله وشعائره: إجلالها بالقلب، ومحبتها، واستيفائها كاملة، على وجه التعبد، من غير تهاون، ولا تثاقل[3].

من استعراض المعنى اللغوي والاصطلاحي فهي تدل على تفخيم، ورفعة شأن المُعظِّم، ورعاية حرمته، مُنبعث من القلب، وهو مُستعار في الملموس والمعقول.

ثالثًا: مفهوم البلد:

البلد في اللغة: البَلَدُ والبَلْدَة، وهو جنس المكان كالشام او الموضع المحدد كصنعاء، والجمع بِلاَد وبُلْدَان، والبَلَد: مكة، على وجه التفخيم والتعظيم[4].

يتضح لنا أن المعنى اللغوي يغلب على المكان المأهول بالناس عند الإطلاق.

في الاصطلاح: الموضع المحدد من الأرض والمكان الذي يقطنه جماعة من الناس يُؤثّرون فيه بحسب نشاطهم[5].

يتضح لنا أن المعنى الاصطلاحي للبلد مختص بالعامرة المأهولة بالناس.

من استعراض المعنى اللغوي والاصطلاحي يتضح لنا أن بين المعنيين عموم وخصوص، فالمعنى اللغوي أعم وأشمل من المعنى الاصطلاحي، فهو يشمل البلد من الأرض عمومًا، في حين أن المعنى الاصطلاحي يطلق على المأهول من الأرض، المتأثر بالعمران خصوصًا، وقد يكون المعنى أخص من ذلك بإطلاقه على مكة خاصةً، فلفظ البلد في القرآن أطلق على (مكة)

(1) ينظر: ابن فارس. **المعجم**. (مرجع سابق)، مادة (عظم)، ج4، ص355. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (1414هـ)، **لسان العرب**. ط3، مادة (عظم)، ج12، ص410. الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن. (1979م)، **التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية**. مادة (عظم)، ج6، ص97.

(2) ينظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (1412هـ)، **المفردات في غريب القرآن**. ص 573. عدد من المؤلفين. **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**. ج3، ص1028.

(3) ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (1420هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ص537، عند تفسير آية 30 من سورة الحج.

(4) ينظر: ابن منظور. **اللسان**. مادة (بلد)، ج3، ص94.

(5) ينظر: الراغب. **المفردات**. ص 142.

على وجه التخصيص[1]، في قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١﴾[البلد:1].

فاتفق بذلك اللفظ العربي مع لفظ القرآن في إطلاق لفظ البلد على (مكة)، وهو مقصود الدراسة هنا.

رابعًا: مفهوم لفظ (الحرام):

في اللغة: مأخوذ من (حَرَمَ) مصدر يدل على المنع والتشديد، والحَرام ضد الحلال، والجمع حُرُم، والحُرمات جمع حُرْمَة: وهو كل ما حظر انتهاكه أو التعدي عليه، كونه ممنوعًا شرعًا، والحَرَمان: مكة والمدينة؛ سُميا بذلك لحرمتهما، وحرمة انتهاك محارم الله فيهما.[2].

يلاحظ على المعنى اللغوي للفظ (حرام) أنه يدور حول معنى المنع مع التشديد، لكل ما يدخل في مسمى الحرام.

في الاصطلاح: الحَرام والمحَرَّم هو كل فعل نهى عنه الشارع، وذم فاعله، أو ترتب عليه العقوبة أو الغضب واللعن والمقت، أو نفي الرضا والمحبة[3].

والحُرُمات: ما يجب احترامه من الحقوق، والأشخاص والأماكن، بتوفيتها حقها وحفظها من الضياع[4].

ويتضح اتفاق المعنى اللغوي والاصطلاحي في كون المراد بالحرام والحرمات هو احترام وتوقير كل ما أمر الله به وحقوق العباد والأماكن، وتعظيم الله بترك كل نهى عنه، مما يترتب عليه الوعيد والعقوبة.

مفهوم خصائص تعظيم البلد الحرام:

مما سبق يمكننا استنباط مفهوم تعظيم البلد الحرام، بأنه:

هو المزايا التي أفرد الله تعالى بها البلد الحرام بحكمته، من محبته، ومهابته، وتعظيم الشعائر الدينية فيه، والمشاعر المقدسة به، وحفظ أوامر الله تعالى، واجتناب كل ما نهى عنه، على وجه التعظيم لمقامه، شرعًا وعرفًا، تمييزًا عن غيره، وتشريفًا؛ لمكانته عند الله تعالى وعند الناس، منذ خلق السماوات والأرض وحتى قيام الساعة.

يتبين لنا من المفهوم أن خصائص تعظيم البلد الحرام يشمل:

1- تعظيم الحقوق والواجبات وأداؤها.

2- تعظيم انتهاك المحارم على أرضه.

3- تعظيم المكان (البيت الحرام – المشاعر المقدسة- مكة كلها حرم).

4- تعظيم الشعائر والمناسك التعبدية، ومن ذلك: الصلاة والاعتكاف ومناسك الحج وغيرها[5].

---

(1) ينظر: الطبري، محمد بن جرير. (1420هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. ج 24، ص 429.

(2) ينظر: ابن فارس، **المعجم**، مادة (حرم)، ج 2، ص45. ابن منظور، **اللسان**، (مرجع سابق)، مادة (حرم)، ج12، ص119-120.

(3) ينظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. **بدائع الفوائد**. ج4، ص4-5.

(4) ينظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. =

(1416هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**. ط3، ج2، ص73.

(5) ينظر: الطبري. **جامع البيان**. ج18، ص617. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1420هـ)، **تفسير القرآن** =

ISSN: 2462-2508

المبحث الثاني: خصائص تعظيم البلد الحرام منذ خلق السماوات والأرض في ضوء القرآن:

إن مسألة تعظيم البلد الحرام جبلة جبل الله عليها الخلق منذ خلق السماوات والأرض، تبرز خصائصه من خلال قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:96-97]، نسردها في الآتي:

1- تخصيص البلد الحرام ببناء البيت والطواف حوله، فقد أخبر الله تعالى عن عظمته وحرمته، وكونه أول بيت بُني لعبادته على وجه الأرض ابتداءً وجُعل في متناول عموم الناس[1]، ومن الأقوال الواردة في الآية: أن أول من بنى الكعبة الملائكة، فطافت بالبيت تعظيمًا لشأنه وتنفيذًا لأمر الله تبارك وتعالى، قبل آدم بحوالي ألفي عام[2]، وطاف بها آدم عليه السلام ومن بعده[3].

2- تخصيص البيت الحرام بالمحبة وتعظيمه في القلوب، فهو بيت الله جل شأنه، نسبه إلى نفسه، -إذ لا يملكه غيره-، والقلوب تحب المولى تبارك وتعالى وتعظمه وتعظم بيته، ولهذا نسبه إبراهيم الخليل لله تعالى في قوله: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ .. ﴾ [إبراهيم:37]، فهذه النسبة نسبة تشريف وتعظيم، ترفع من شأن البيت في نفوس قاصديه، وتزيده مهابة، وتزيد الوله لقصده مرارًا، من غير إيجاب، وفي التعبير بلفظ: ﴿ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ ﴾ ما يفيد أن المحبة والتعظيم ثابتة للبيت، فالأفئدة مأخوذة من الفؤاد، وقد يُطلق على القلب، والمعنى: أن قلوب المسلمين تعلقت بمحبة هذا البيت، وتهوى سكنى هذا البلد، ولا تقضي وطرًا منه بل يزداد الشوق له على كثرة الترداد، ومشقة السفر، وترك الأهل وبذل المال، فهو نابع عن محبة ورغبة منهم، عن طيب خاطر[4].

وإن كانت الآية دلت على أن هذه المحبة كانت بدعوة إبراهيم عليه السلام، إلا أنه لا ينافي أن تكون ثابتة

= **العظيم**. ط2، ج5، ص419. السعدي، **التيسير**، ص537. عند تفسير آية 30 من سورة الحج.

(1) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ج4، ص11.

(2) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج6، ص22. البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، (الرياض: دار طيبة، ط4، 1417هـ/1997م)، ج2، ص71. أبو حيان، محمد يوسف بن علي الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، (بيروت: دار =

= الفكر،1420هـ)، ج 1، ص474. ابن كثير، **التفسير**، ج2، ص77. السعدي، **التيسير**، ص971.

(3) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج6، ص21.

(4) ينظر: القرطبي، **الجامع**، ج9، ص373. السعدي، **التيسير**، ص427. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، ص269.

له من قبل، بدليل طواف الملائكة والأنبياء والمسلمين وقصدهم إليه وحجهم به منذ القدم، محبةً منهم ورغبةً في ذلك، فهذا شأن جميع المسلمين في بقاع الأرض على مر الأزمان، –والله أعلم–[1].

3- تعدد مسميات مكة منذ القدم، فقد وردت عدة أسماء لها في القرآن الكريم، ومن المعلوم أن تعدد الأسماء إنما يكون لشرف المسمى[2]، منها:

- بكة: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ٱللَّهَ .. ﴾ [آل عمران:96]، والعرب تستبدل حرف الميم بالباء كما في سمد رأسه وسبده[3]؛ وسميت بذلك لأنها تبكّ الظالمين، ولأن الناس يتباكّون فيها ويزدحمون للطواف بها[4]، وليس هذا لبيت غيره.

- البلد الأمين: ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين:3]، وسماه بذلك باعتباره صفة ملازمة له؛ كونه آمن من بطش الجبابرة، وكل ما فيه له حرمته حتى الشجر والحيوان[5].

- البلد: قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ [البلد:1]، أي: أقسم بمكة المكرمة بلد الله الحرام التي جُبِل العرب على تعظيمها[6].

- القرية: قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ..﴾ [النساء:75]، فالإشارة عائدة إلى القرية وهي (مكة)[7]، وفي عدم نسبة الظلم للبلد الحرام تعظيم لشأنه، حيث نسب الظلم في آيات أخرى لغيره من البلدان، اما هنا نسبه للمشركين من أهل مكة.

- أم القرى: لقوله تعالى: ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا .. ﴾[الأنعام:93]، (أم القرى) هي مكة المكرمة، وسميت بذلك؛ لأنها أصل قرى الأرض ومدنها وأقاليمها، والعرب تسمي كل ما يضم إلى ما يليه أمًّا فمنها دُحيت الأرض[8].

كما تعددت أوصاف الكعبة المشرفة، تشريفًا وتعظيمًا لشأنها، ومنها:

- البيت العتيق: قال تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ .. ﴾ [الحج:29]، فوصف بذلك؛

(1) ينظر: ابن كثير، **التفسير**، عند تفسير (الحج:27)، ج5، ص363.

(2) ينظر: الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب. (1416هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج1، ص88.

(3) سمد رأسه: أي رفعه ونصب صدره. ينظر: ابن منظور، **اللسان**، ج3، ص219.

(4) ينظر: ابن العربي، محمد بن عبد الله، **أحكام القرآن**، ج1، ص372.

(5) ينظر: السعدي. **التيسير**. ص65.

(6) ينظر: الخطيب الإسكافي، محمد بن عبد الله. (1422هـ)، **درة التنزيل وغرة التأويل**. ج1، ص1356.

(7) ينظر: ابن كثير، **التفسير**، مرجع سابق، ج2، ص358.

(8) دُحيت الأرض: بمعنى بسطت ومدت وتوسعت، وتمهدت. ينظر: القزويني. **المعجم**. ج2، ص333.

لأن الله أعتقه من الجبابرة[1].

- البيت الحرام: قال تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ .. ﴾ [المائدة:97]، فوصفه بالحرام دلالة على حرمته ومكانته، وحرمة مشاعره، وساكنيه وقصّاده[2].

4- اختصاص البيت الحرام بالبركة، فهو وصف ذاتي ثابت له؛ لم يثبت لغيره من البقاع على وجه الأرض[3]، بما يتحصل من مضاعفة الأجر ومغفرة الذنوب للمصلين به والمعتمرين والحاجين إليه وكذا سائر الطاعات (كالصيام والصدقة والبر والاعتكاف ونحوها)[4]، فبركته تعم مجاوريه والزائرين له[5]. وما يحصل لهم من المنافع الدنيوية الأمنية والاجتماعية والاقتصادية والزراعية والعلمية وغيرها، فهي محط اجتماع عالمي غير مسبوق منذ القدم.

5- اختصاص البيت الحرام بكونه هدىً، وهذا وصف ذاتي له على سبيل المبالغة والرفعة من شأنه[6]، فقد سبق في علم الله تعالى وتقديره مبعث نبيه الكريم ﷺ منها، ونزول آخر كتبه السماوية به، ومنه تخرج العلماء الأفذاذ، ونشروا العلم، فهدى الخلق للعمل الصالح والعلم النافع، بجوارهم له، وخير برهان على ذلك ما يتحصل عليه مجاوري البلد الحرام وقاصديه من العلم النافع[7]، ووقوفهم على المصادر الشرعية الأصيلة، -التي لا تتوافر في غيره من البلدان؛ إما لبعدهم أو عدم وفرة الكتب المترجمة بلغاتهم-.

6- اختصاص البيت الحرام بكونه مثابةً للناس، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[البقرة:125]، فيرجعون لقصده، مرارًا وتكرارًا، لتحقيق منافعهم الدينية، فتتكرر زيارتهم له بغية الصلاة أو الطواف أو الحج أو العمرة، فهو موضع الدعاء، ورجاء الإجابة، مع مضاعفة الثواب فيه، و كذا منافعهم الدنيوية فتجرى على أرضه صفقات تجارية ومناظرات علمية بين أهله وقاصديه، حتى الحجيج منهم يستفيدون بممارسة تجارتهم في أمن ويسر وسهولة[8]، فعظمت مكانته في النفوس وعلا شأنه، وكثر عدد قاصديه منذ القدم، فليس في بقاع الأرض بلد يقصد بالزيارة كما هو شأنه.

---

(1) بهذا قال عبد الله بن الزبير ومجاهد وقتادة. ينظر: الطبري. **جامع البيان**. ج18، ص 614-615.

(2) ينظر: ابن كثير، **التفسير**، ج1، ص413،

(3) باستثناء ما ثبت للمدينة المنورة من فضائل وخصائص، وما ثبت للمسجد الأقصى.

(4) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج6، ص25. القرطبي، **الجامع**، ج4، ص 139. النووي، محيي الدين يحي بن شرف، **الإيضاح في مناسك الحج والعمرة**، ص420.

(5) ينظر: ابن عاشور، **التحرير**، ج4، ص 16.

(6) ينظر: ابن عاشور، **التحرير**، مرجع سابق، ج4، ص16.

(7) ينظر: الشريف، زين راجح علي، **مجاورة العلماء للحرمين الشريفين وأثرها في الدعوة إلى الله**، ص24-25.

(8) ينظر: القرطبي، **الجامع**، ج2، ص110. السعدي، **التيسير**، ص65. زين الشريف، **مجاورة العلماء**، ص37.

ISSN: 2462-2508

7- هو بلد الله الحرام، بحرمة الله له إلى قيام الساعة، دلَّ عليه قوله: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران:96]، ضمنيًا إذ مقتضى كونه أول بيت وضع لعبادة الله وفرض الحج إليه، واختصاصه بالأمن والبركة والهدى، هو إظهار عناية الله تعالى بهذا البلد وحرمته، والتنويه بعلو مكانته على سائر البلدان(1)، ولقوله: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [إبراهيم:37]، فدلت على أن البيت الحرام كان موجودًا قبل إبراهيم عليه السلام، كما دل وصفه بلفظ ﴿الْمُحَرَّمِ ﴾، على أن حرمته ثابتة منذ القدم، فيحرم انتهاك الحرمات فيه، والاستخفاف بعظمته(2)، وقد تكرر وصفه بهذه الصفة في اثني عشر موضعًا، وفي موضع بالنهي عن استحلال حرمته، وفي هذا دلالة على وجوب حرمته وتأكيدها، وعظمة انتهاكها.

8- اختصاص البلد الحرام بالأمن لساكنيها، والأمان لمن دخلها من غير أهلها، وكذا من دخلها خائفًا مستجيرًا(3)، دلّ عليه قوله: ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ [التين:3]، أي: الآمن، فأشار إليه بصفته اللازمة له الثابتة منذ خلق السماوات والأرض؛ تعظيمًا لشأنه(4)، وكذا قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت:67]، فسماه ﴿ حَرَمًا ﴾ تنصيصًا على حرمته المؤصلة في النفوس، وتأكيدًا على وجوب التعظيم، فقد كان النهب والسلب والقتل عامًا في بقاع الأرض، إلا البلد الحرام، فقد جعله ﴿ آمِنًا ﴾ وهذا وصف مطلق، ليشمل جميع أنواع الأمن، - والله أعلم-، ومنها:

- الأمن النفسي، فقد حرم التعدي على أهله، بأي شكل من الأشكال، بتحريم القتل، أو الإيذاء، أو التعرض بالتحرش بهم، أو انتهاك الأعراض، وهذا وإن كان حقًا ثابتًا لجميع الناس إلا أنه مؤكد في حق ساكني البلد الحرام وقاصديه، وشأنه معظّم، وقد علم الناس ذلك منذ القدم، وتعارفوا عليه.
- والأمن الاجتماعي، باجتماع الناس فيه آمنين مطمئنين، على قلب واحد، فالكل يجتمع لعبادة الله وتوحيده والاصطفاف للصلاة ببيته، والطواف حوله، مُبتهلين مُلبّين، داعين راجين، فلا فرق بين عربي ولا عجمي، ولا غني ولا فقير.
- والأمن الاقتصادي، فالناس يقصدونه من شتى بقاع الأرض، ويتداولون البضائع المختلفة، فنما اقتصادها، وازدهر، كونهم آمنين من السلب أو النهب، سواء كانوا من أهله أو قاصديه، لحرمتهم، وقد ثبت العلم بذلك عند العرب قاطبة منذ القدم وحتى قبل الإسلام، فكانت تهاب التعرض لأهل الحرم وقاصديه للحج أو التجارة. قال تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن

(1) ينظر: ابن قيم الجوزية، **البدائع**، ج2، ص45-46.
(2) ينظر: القرطبي، **الجامع**، ج9، ص371.
(3) ينظر: ابن كثير، **التفسير**، ج2، ص79.
(4) ينظر: ابن عاشور، **التحرير**، ج30، ص422.

ISSN: 2462-2508

جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: 1-4]. فكانت تجارة قريش منظمة، في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، مع ما اتسمت به من الاستقرار والأمن، والازدهار؛ كونها تجارة دولية تتخطى حدود شبه الجزيرة العربية، بل تطورت لتصبح التجارة بالبلد الحرام حلقة وصل بين التجارات شرقها وغربها[1]، فعظّم الله تعالى أمر البلد الحرام وأهله في نفوس الناس، فلم يعترضوا لهم في طريق سفر ولا تجارة لهم، فاستقامت حياتهم، ومصالحهم، ونمت تجارتهم وازدهرت مكاسبهم، تعظيمًا لبلده الحرام؛ ومنةً من الله تعالى لساكني البلد الحرام، وأمرًا لهم بتحقيق العبودية التامة الخالصة لله تعالى، اذ التعظيم المعتد به يستلزم العبودية الخالصة لله تعالى[2]، وقال ممتنًا عليهم: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ..﴾، فقد جعل لهم المكنة في بلد الله الحرام، فيخرجون لقضاء منافعهم دون ان يتعرض لهم أحد؛ لكونهم أهل الحرم، كما يتوافد عليهم الناس والزوار من كل مكان، وكذا التجار يقصدونها ويتعاقدون مع أهلها لإنجاز تجارتهم لضمانها من التعرض للسرقة مع ماله من الهيبة والتعظيم في نفوسهم، ومع ما امتن به عليهم من الرزق الوفير، آمنين مطمئنين، فلا يتعدى على قاصديه بأي شكل من الأشكال، في حين أن الناس في القرى حولهم يحفها الخوف، من كل حدب وصوب بالسرقة والنهب والقتل وانعدام الأمن، ولا شك أن الإيمان بالله على الوجه الصحيح المشروع سبب لدوام هذه النعم لما فيه من الجمع بين حرمة البيت وحرمة التوحيد [3]، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ..﴾ [المائدة:2]، فالآية نهي عن التعرض لقاصدي البيت وعماره الذين يبتغون فضل الله الله تعالى في إصلاح معايشهم بما يرضي الله تعالى[4]، إذ إن انتهاك شيء من تلك الحرمات في البلد الحرام يُعظّم الإثم عليه، كما أن رعايتها يُعد تعظيمًا له.

- والأمن العسكري فلا يحل القتال فيها منذ خلقها الله تعالى – ولم يحلها إلا لنبيه ﷺ ساعة من نهار–، للحديث: «إن مكة حرمها الله فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي»[5].

(1) ينظر: زين الشريف، **مجاورة العلماء**، ص36.

(2) ينظر: السعدي، **التيسير**، ص935.

(3) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج19، ص602 وج20، ص61. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1)، ج4، ص181. ابن كثير، **التفسير**، ج6، ص247. السعدي، **التيسير**، ص620وص 635.

(4) ينظر: الجلالين، المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **تفسير الجلالين**، ط1، ص135.

(5) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، **صحيح البخاري**، (بيروت: طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، كتاب جزاء الصيد، باب لا يعضد شجر الحرم، رقم 1832، ج3، ص14. مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، كتاب القسامة، باب تحريم مكة وصيدها، رقم 1353، ج2، ص986.

● والأمن السياسي فلم يتسلط عليها جبار قط، ولذلك ورد في الآية تسميتها (بكة)؛ لأنها تبكّ الظالمين[1]، ولقوله تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ.. ﴾ [الحج:29]، فوصفه بالبيت بالعتيق؛ لأنه أعتقه من الجبابرة[2]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل 1-5]، فمن عظيم قدرة الله العظيم، وتعظيمًا لشأن البلد الحرام، لم يجعل للجبابرة سلطانًا عليه وردّهم عنه، فرد كيد أصحاب الفيل وأهلكهم لما أرادوا تخريب البيت الحرام، واستحلال أهله[3].

9- الأصل طهارة البيت الحرام، منذ أن وضع لعبادة الله تعالى، وخلوه من كل مظاهر الشرك والابتداع، كون هذا شأنه الذي كان عليه قبل أن يبدل الناس دينهم، ولذلك قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ.. ﴾ [البقرة:125]، وقال: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ.. ﴾ [الحج:26]،فلما نسبه تعالى لنفسه وجب تعظيمه، بتطهيره بنبذ الكفر والمعاصي، وإخراج الأوثان، وإزالة النجاسات، وتهيئته لأداء الشعائر المقدسة به من الصلاة، والطواف، والسعي، والحج، والاعتكاف، إذ هذا شأنه، فامتثل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام لأمر الله تعظيمًا، وبذلا الجهد لتطهيره[4]، ويقتضي ذلك أن رمي الأوساخ وبقايا الأطعمة بساحاته، يُعد إثمًا معظمًا، كونه في بيت الله الحرام، ولما فيه من أذية المصلين والعاكفين والطائفين وقاصديه[5]، كما يقتضي ضرورة الاقتداء بهدي الأنبياء في تعظيمهم البلد الحرام، وعدم ادخار الوسع والطاقة في تطهيره، بشتى الوسائل المتاحة، تعظيمًا وإجلالًا.

10- اختصاص مكة بالحج إلى البيت الحرام، منذ أن خلقها الله تعالى؛ تفضيلًا ورفعةً، دون غيرها من بقاع الأرض، فيتوافد الناس إليها من كل مكان وفي كل زمان، لقوله: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ.﴾ [الحج:27]، فأمر بالنداء في الناس عمومًا لأداء فريضة الحج[6]، فدلت صيغة العموم على مشروعية الحج في جميع الأديان السماوية، بدليل حج الأنبياء كلهم[7]، روى ابن

(1) ينظر: ابن العربي، محمد بن عبد الله، **أحكام القرآن**، ج1، ص372.

(2) بهذا قال عبد الله بن الزبير ومجاهد وقتادة. ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج18، ص 614-615.

(3) ينظر: السعدي، **التيسير**، ص934.

(4) ينظر: ابن كثير، **التفسير**، ج1، ص 419-421. السعدي، **التيسير**، ص65

(5) ينظر: الحمداوي، رشيد، **تعظيم حرمات الله وشعائره في ضوء هدايات سورة الحج**، (المؤتمر القرآني الدولي الثاني في هدايات القرآن الكريم، جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى،1441هـ/2020م)، ص18.

(6) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج18، ص605. ابن عاشور، **التحرير**، مرجع سابق، ج17، ص242.

(7) ينظر: ابن كثير، **التفسير**، ج1، ص434. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، **مثير الغرام** =

عباس ﷺ: «أن رسول الله ﷺ مرَّ بوادي الأزرق[1]، فقال: "أَيُّ وادٍ هذا؟"، فقالوا: هذا وادي الأزرق، قال: "كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطًا من الثَّنِيَّة[2]، وله جُؤارٌ[3] إلى الله بالتلبية"، ثم أتى على ثَنِيَّة هَرْشَى[4]، فقال: "أيُّ ثنية هذه؟"، قالوا: ثَنِيَّة هَرْشَى، قال: "كأني أنظر إلى يونس بن متَّى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة من صوف، خِطام ناقته خُلْبَةٌ[5] وهو يُلبي»[6]. وفي قوله:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:97]، مزيد التأكيد لحق الله تعالى، ووجوب الحج، والتعظيم لحرمته[7]، والإتيان بلفظ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ على وجه العموم[8]، دال على أن الحج واجب على المستطيع في جميع الأمم، والملل، إذ لم يقل (المسلمين) ولم يقرنه بأمة محمد ﷺ خاصة،-والله أعلم-، كما أن الحكم بالكفر على من جحد بفرضيتها، على وجه التغليظ[9]، لحرمة البيت وشعائره[10]، مع استمرار فرضيته حتى آخر الزمان، كما في الحديث: «والذي نفسي بيده ليُهِلَّنَّ ابن مريم بفَجَ الرَّوْحَاء[11]، حاجًّا أو معتمرًا، أو

=

الساكن إلى أشرف الأماكن، (القاهرة: دار الحديث، ط1، 1415هـ،1995م)، ص375-376.

(1) وادي الأزرق: وادٍ يقع شمال شرق مكة على بعد 100 كم، بمحافظة خليص. ينظر: **موسوعة المصطلحات الإسلامية**، استرجع بتاريخ 1443/5/7هـ، رابط الموقع: https://terminologyenc.com/ar/browse/term/76099

(2) الثنية: تقع بمكة المكرمة بحي المعلاة، بين الحجون والمسجد الحرام، من جهة الشمال. ينظر: **موسوعة المصطلحات الإسلامية**، استرجع بتاريخ 1443/5/7هـ، رابط الموقع: https://terminologyenc.com/ar/browse/term/75896

(3) جؤار: بضم الجيم، صوت مرتفع. ينظر: النووي، محيي الدين يحي بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج2، ص229.

(4) ثنية هَرشى: بفتح الهاء، وإسكان الراء، جبل على طريق الشام والمدينة، قريب من الجحفة. ينظر: النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ج2، ص229.

(5) ناقة جعدة: مكتنزة اللحم. والخِطام: بكسر الخاء، الحبل الذي يقاد به البعير، والخُلْبة: الليف. ينظر: النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ج2، ص229.

=

(6) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم 166، ج1، ص 152.

(7) ينظر: القرطبي، **الجامع**، ج4، ص142.

(8) ينظر: السعدي، **التيسير**، ص138. فقد كان يحج البيت كل من بلغه الأمر بالحج، حتى مشركي العرب قبل نزول آية تحريم دخول الكافرين إلى مكة.

(9) ينظر: البيضاوي، **الأنوار**، ج2، ص30.

(10) ينظر: ابن عاشور، **التحرير**، ج4، ص24.

(11) فَجّ الروحاء: بفتح الفاء وتشديد الجيم، تقع بين طريق المدينة وبدر، على بعد 80 كم جنوب غرب المدينة، قرب المسيجيد. ينظر: **موسوعة المصطلحات الإسلامية**، استرجع بتاريخ 7/ 5/ 1443هـ، رابط الموقع: https://terminologyenc.com/ar/browse/term/75912

لَيَثْنِيَنَّهُمَا[1]»[2]، وهذا يكون بعد نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، تعظيمًا لشأن البلد الحرام وتشريفًا.

ونخلص إلى أن الله تعالى عظّم البلد الحرام، ورفع شأنه منذ خلق السماوات والأرض، وكذلك الملائكة والأنبياء، فالناس في كل زمان ومكان مأمورين بالتعظيم محبة ومهابة على وجه الفرض، والتأسي.

المبحث الثالث: آثار تعظيم البلد الحرام منذ خلق السماوات والأرض:

لتعظيم البلد الحرام منذ القدم آثارًا جليلة، وقيم عظيمة تعزز في القارئ والناشئ قيمة التعظيم الواجب للبلد الحرام؛ كونه ثبت له منذ خلق السماوات والأرض، أجملها المولى تبارك وتعالى في قوله: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران:96-97]، وتفصيلها كالآتي:

1- **الأثر الديني:** فقد وقر في قلوب الناس قاطبة محبة البيت الحرام وتبجيله، ومهابته وتعظيمه، فهي جبلة جبل الله الخلق عليها، فتهفو نفوسهم وتشتاق، للتعبد لله تعالى على أرضه، فيقصدونه من أدنى الأرض وأقصاها، ومشارقها ومغاربها، طائفين بالبيت العتيق، عاكفين، قائمين، ركعًا سجدًا، متنسكين بالحج والعمرة، فتزداد قلوبهم إيمانًا ويقينًا، بأداء الشعائر به، وحرصًا على الاستزادة من العمل الصالح ووجوه البر والصدقات والخيرات؛ كون الحسنات مضاعفة على أرضه،، وتقر أعينهم لرؤياه، محبةً ومهابةً، رافعين أكف الضراعة، تتساقط عبراتهم خوفًا من العثرات، طلبًا لمرضاته ومغفرته، ورجاء إجابة دعواتهم وسؤلهم، وما نشهده اليوم من تذليل العقبات لقاصدي البلد الحرام لأداء الشعائر على أرضه تحقيقًا لأمر الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾، يُعد تطبيقًا عمليًا لمظهر التعظيم، وأثرًا من آثاره الإيمانية المستمرة النابعة عن المحبة والمهابة وسرعة الاستجابة لأوامر الله تعالى على أرضه.

2- **الأثر الاجتماعي:** فاجتماع الناس من شتى بقاع العالم، يلتقي فيه بالموحدين لله تعالى، المتعبدين له، في مكان واحد، عربيهم وأعجميهم، غنيهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم، على اختلاف مراكزهم، ومكاناتهم، ومناصبهم، لا همّ لهم يجمعهم إلا التعبد والتوحيد، فيلتقون على قلب واحد، بألفة ومودة، ورحمة، ولحمة أخوية، مصطفين حول البيت للصلاة، ومجتمعين في موكب مهيب لأداء نسكهم وحجهم، على صعيد واحد، في مشهد مهيب يفيض بالتلاحم الأخوي، نشهد آثاره في زماننا فرغم التباعد الاحترازي منذ جائحة كورونا إلا أن التواصل الاجتماعي قائم، فالكل منقاد لولي الأمر لمراعاة سلامة وصحة المجتمع.

---

(1) يَثنيهما: بفتح الياء، يقرن بينهما، -أي بين الحج والعمرة-. ينظر: النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ج8، ص234.

(2) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب إهلال النبي ﷺ، رقم 1252، ج2، ص915.

3- **الأثر الاقتصادي:** فبلد الله الحرام مباركة، يأتيها رزقها من كل مكان، فلا يجوع أهلها، ولا ينضب ماؤها، ولا يزال خيرها، فالناس من كل حدب وصوب يقصدونها للزيارة والحج، أو الانتفاع بضروب التكسب، والتجارة، وتبادل المنافع، من غير ضرر، في يسر وسهولة، حتى أن الناس كانوا يقصدونها لتكون منبثقًا لتجارتهم؛ ذلك أن البلدان حولها كانت محطًا للنهب والسلب، فشهدت ازدهارًا تجاريًا وحراكًا اقتصاديًا، فعمّ نفعها أهلها وقاصديها، من مختلف أقطار العالم، ولا تزال بركتها ملموسة حتى وقتنا الحاضر، تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ.. ﴾ [المائدة:97]، إذ فيه قيام أمورهم وصلاح معايشهم، ورضى ربهم،.

4- **الأثر الأمني:** فصفة الأمن لازمة له منذ وضع البيت، متحقق بصوره المختلفة، ولا تزال آثاره باقية حتى آخر الزمان، منها:

- أثر الأمن العقدي: فالله تعالى جعل به أول بيت لعبادته ابتداءً، وطهره من الشرك وعبادة الأوثان، ومظاهر الابتداع، فسلم لأهله وقاصديه عقيدتهم، فلما ضل فئة من الناس بعث من يجدد التوحيد فكان الخليلان إبراهيم عليه السلام ومن بعده محمد ﷺ بشريعة الإسلام، لضمان استمرارية توحيد الله على أرضه، وسلامة أمنهم العقدي.

- أثر الأمن النفسي والمادي: فقد جعل الله تعالى مكة بلدًا محرمًا، يحرم إرادتها بالسوء، والتعرض لأهلها بأي شكل من الأشكال، فلا يتعرض لهم بالقتل أو السرقة، ويُعد انتهاك ذلك أمرًا معظمًا، حتى بمجرد العزم عليه فقد أهلك أصحاب الفيل لما قصدوا هدم بيته، واستحلال أهله، كما حرم التعرض لقاصديه وزواره، فتحقق لهم الأمن على أنفسهم، وأعراضهم، وأموالهم، ومجتمعهم، ولا تزال آثار الأمن بادية في زماننا بوسائل متعددة منها تجنيد الجنود على حدودها، واستخدام كافة التقنيات التكنولوجيا لمراقبة وحفظ أمنها.

5- **الأثر العلمي:** فقد جعل الله البلد الحرام منبعًا للهدى، ومنارةً للعلم، يتوافد إليه الناس لينهلوا من معينه، ويستقوا من فيضه، فيجتمعون على دراسة العلم النافع، وتبادل المعارف، ويتناقلون الأخبار في المواسم، ويعزز هذا الأثر بقوله تعالى: ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا.. ﴾ [الأنعام:93]، فقد سماه الله (أم القرى) التي تؤم ما حوله وتضمه وتجمعه، وجعله محورًا تنبثق منه النذارة والدعوة إلى التوحيد الخالص من الشرك على لسان نبيه ﷺ، لما ضل الناس وحادوا عن الطريق، ومن قبل كان دعوة إبراهيم عليه السلام فكان مُعلّمًا موجهًا وناصحًا أمينًا، رعاية لحرمة البلد الحرام الذي لا يليق بمقامه إقامة أهله على الشرك وعبادة الأوثان، والجهل والضلال، وآثار هذا الجانب متحققة مشاهدة ملموسة في زماننا، فقد أسست جامعة أم القرى على أرضها، ومعهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة، ومعهد وكلية الحرم المكي الشرف بالمسجد الحرام بفروعهما، وعقدت المؤتمرات الكثيرة من مختلف الجهات بشتى العلوم والتخصصات، بغية تحقيق أمن فكري وتبادل علمي آمن.

6- **الأثر السياسي:** فعلى مر العصور وتعاقب الأزمان لم يتول أمر البلد الحرام أي جبار متسلط،

فقد أمنه منهم، ولذلك سماه بـ (بكة) كونها تبك الظالمين ويهلكون، كما سماه بالبيت العتيق، كونه أعتقه من تسلط الجبابرة، وما نشهده اليوم دليل على ذلك، فولاية الأسرة المالكة السعودية لهذه البلاد، وما سخره الله على أيديهم، لقيامهم بواجب التوحيد وإقامة الدين ونشره والتوجيه والإرشاد والتوعية، بشتى الوسائل والأساليب، واستتباب الأمن في أرجائها بمختلف الطرق، وتذليلهم الصعوبات على الحجيج والزوار وقاصدي البلد الحرام، رعاية لحرمته وتعظيمًا لشأنه وقيامًا بأمره على الوجه الذي أراده الله تعالى لبلده الحرام، ما هو إلا أثر من آثار التعظيم المتحقق في جانب الإدارة السياسة.

الخاتمة

الحمد لله المنعم علينا بوجود بيته الحرام، فقد شرفت بدراسة خصائص تعظيمه منذ خلق السماوات والأرض، وآثارها، وخلصت إلى نتائج منها:

1- ثبوت خصائص البلد الحرام منذ خلق السماوات والأرض، وفق حكمته وإرادته، وما يستلزم من قيمة التعظيم الواجبة له.

2- من خصائص التعظيم الثابتة للبلد الحرام منذ خلق السماوات والأرض: بناء البيت الحرام بأرضه ابتداءً لعبادته، ومحبته وتعظيمه في النفوس، وكونه مباركا وقيامًا للناس ومثابةً، فيتحقق لهم به منافعهم الدينية والدنيوية.

3- ثبوت حرمة البلد الحرام منذ خلق السماوات والأرض، فقد جعله الله حرمًا آمنًا، فلا يتعدى عليه ولا على أهله وقاصديه، بأي شكل من الأشكال.

4- ثبوت طهارة البيت الحرام أصالة من مظاهر الشرك والابتداع، وكونه منبع الهدى ومنار العلم، وتهيئته لأداء الشعائر المقدسة به، كالصلاة، ومنها ماهي خاصة به كالطواف والسعي والحج.

5- لتعظيم البلد الحرام بما اختصه الله تعالى به آثار جليلة، ظهرت منذ القدم، وامتدت إلى وقتنا الحالي، تفضلًا من الله ومنةً على أهله، تُعزز قيمة التعظيم في النفوس، وتستوجب الاستمرار في القيام بواجب التعظيم والشكر لاستدامتها.

التوصيات

أوصي الباحثين في مختلف بقاع الأرض بالتعمق في الوسائل المفضية إلى تحقيق التعظيم على الوجه الأكمل، من خلال تفعيل التقنيات الحديثة التي تكسر حاجز الزمان والمكان، خدمة للبلد الحرام وتعظيمًا له.

المصادر والمراجع.

البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، (1422هـ)، **صحيح البخاري**، (الطبعة الأولى). بيروت: دار طوق النجاة.

البغوي، الحسين بن مسعود، (1417هـ/ 1997م)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، (الطبعة الرابعة). الرياض: دار طيبة.

البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (1418هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (الطبعة الأولى). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الجلالين، جلال الدين محمد بن احمد المحلي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، **تفسير الجلالين**، (الطبعة الأولى). القاهرة: دار الحديث.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (1415هـ/1995م)، **مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن**، (الطبعة الأولى). القاهرة: دار الحديث.

الحمداوي، رشيد. (1441هـ/2020م)، **تعظيم حرمات الله تعالى وشعائره في ضوء هدايات سورة الحج**، (المؤتمر القرآني الدولي الثاني في هدايات القرآن الكريم، جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى).

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، (1420هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، بيروت: دار الفكر.

الخطيب الإسكافي، محمد بن عبد الله، (1422هـ/2001م)، **درة التنزيل وغرة التأويل**، (الطبعة الأولى). تحقيق: محمد آيدين، مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى- وزارة التعليم العالي، سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (30).

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (1412هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، (الطبعة الأولى). دمشق: دار القلم.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، (1420هـ/2000م)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (الطبعة الأولى). بيروت: مؤسسة الرسالة.

الشريف، زين بنت راجح بن علي، (1443هـ/2021م)، **مجاورة العلماء للحرمين الشريفين وأثرها في الدعوة إلى الله**، (رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى).

الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن، (1979م)، **التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية**، القاهرة: مطبعة دار الكتب.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، (1420هـ/2000م)، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، (الطبعة الأولى). بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (1984م)، **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية.

عدد من المؤلفين، إشراف صالح بن عبد الله بن حميد، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ**، (الطبعة الرابعة). جدة: دار الوسيلة.

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله، (1424هـ/2003م)، **أحكام القرآن**، (الطبعة الثالثة). بيروت: دار الكتب العلمية.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، **العين**، بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، (1416هـ/1996م)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية -لجنة إحياء التراث الإسلامي.

الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، (1426هـ/2005م)، **القاموس المحيط**، (الطبعة الثامنة). بيروت: مؤسسة الرسالة.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، (1384هـ/1964م)، **الجامع لأحكام القرآن**، (الطبعة الثانية). القاهرة: دار الكتب المصرية.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (1399هـ/1979م)، **معجم مقاييس اللغة**، بيروت: دار الفكر.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **بدائع الفوائد**، بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (1403هـ/ 1983م)، **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، (1416هـ/1996م)، **مدارج السالكين بين منزل إياك نعبد وإياك نستعين**، (الطبعة الثالثة). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي، (1420هـ/1999م)، **تفسير القرآن العظيم**، (الطبعة الثانية). الرياض: دار طيبة.

مجمع اللغة العربية (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، **المعجم الوسيط**، القاهرة: دار الدعوة.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، **لسان العرب**، (الطبعة الثالثة). بيروت: دار صادر.

موسوعة المصطلحات الإسلامية، استرجع بتاريخ 1443/5/7هـ، الرابط: https://terminologyenc.com/ar/browse/term/76099

موسوعة المصطلحات الإسلامية، استرجع بتاريخ 1443/5/7هـ، رابط الموقع: https://terminologyenc.com/ar/browse/term/75896

موسوعة المصطلحات الإسلامية، استرجع بتاريخ 7/ 5/ 1443هـ، رابط الموقع: https://terminologyenc.com/ar/browse/term/75912

النووي، محيي الدين يحي بن شرف، (1414هـ/ 1994م)، **الإيضاح في مناسك الحج والعمرة**، (الطبعة الثانية). مكة المكرمة: المكتبة الإمدادية.

النووي، محيي الدين يحي بن شرف، (1392هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (الطبعة الثانية). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.